المحاضرة رقم: 9

مارتن هيـــــــــدجر (1889- 1976)

تميز فجر الفلسفة في الآونة المعاصرة ببروز تيارات فكرية متنوعة، حملت هموما اجتماعية وسياسية عميقة ترغب في تمثل الفكر الفلسفي من جديد، ومن بين هذه التيارات الفلسفية الكبرى التي رسمت هذا المشهد الثقافي في نقد الوجه الميتافيزيقي للفلسفة، نجد الفلسفة الوجودية التي ذاع صيتها حين حاولت بكل جهودها التعبير عن المعاناة والأزمات التي يكابدها الانسان المعاصر بسبب تسارع التطورات التكنولوجية والحضارية، ضمن هذا المناخ الفكري المتشعب ظهر "هيدجر" كواحد من المشتغلين بالبحث في أهم المسائل الوجودية المرتبطة بقضايا واشكالات الوجود الانساني، فما طبيعة التصور الذي قدمه هيدجر" حول معنى الوجود؟

قبل الولوج إلى معرفة تداعيات هذا المشروع الفلسفي الذي بدأ "هيدجر" التفصيل في ملامحه الفكرية، فإن الضرورة المنهجية تقتضي منّا إدراك أهم المنطلقات الفلسفية التي تتأسست عليها أفكاره، لهذا تهتم هذه الفلسفة الوجودية في مشروعها الفلسفي بالوجود الإنساني، " لهذا كان الشرط الانساني أن ينظر إلى الكينونة الانسانية انطلاقا من حيزها النشيط، الذي يجعل من الوجود معطى علائقيايكون فيه الانسان الفاعل السؤول الوحيد في التاريخ"[1]

وتعنى الوجودية بالمشكلات المتعلقة أساساً بحياة الإنسان، كالموت والقلق، والفشل، والمعاناة ...، وهي مشكلات في الأصل تبحث عن حلول ممكنة لخروج الانسان من أزمته الوجودية التي عرفها الوضع الأوروبي المعاصر، حيث أثرت بعمق على حياته وجعلته يعيش توتراً وجوديا خانقاً، الأمر الذي استدعى محاولة اخراجه من هذا الوضع المعقد إلى واقع جديد يصنع ظروفه وأحواله بحريته وارادته، ويجنح "هيدجر " في الشأن الاستئناس بفلسفة "نيتشة"، الذي يعتبر أول فيلسوف كبيرفي عصرنا قام بعملية هدم جذرية للفلسفة منطلقا من اعتبارات لغوية، فقد جاء بالفلسفة من فقه اللغة ويؤكد "هيدجر" بأن هذا الأخير قام بعملية قلب كامل للميتافيزيقا؛ هذه الميتافيزيقا التي كان "أفلاطون" قد أقام صرحها الشامخ"[1].

---

[1] Heidegger, Introduction à la métaphysique , Ed, Gallimard, Paris, 1967, p.151.

[1] Heidegger, La fin de la philosophie et la tache de la pensée, in question, Ed, Gallimard, Paris 1976.

1- مشكلة الوجود الانساني: تعتبر مشكلة الوجود الانساني مشكلة محورية في النسق الفلسفي لـ"هيدجر" معتقداً في ذلك أن هذه المشكلة المتعلقة بحياة الانسان أشد غموصاً وما تحمله من أسرار وأفكار ومن أفعال التساؤل حول صلتها بفكرة الموت والكينونة ووجوده الحقيقي الذي يبدأ من الذات وعن العالم الذي تحيا فيه وما تحمله من هموم ومعاناة .

إن النفاذ إلى صميم هذه المشكلة الوجودية وفهم مناحيها، يعتقد "هيدجر" ضرورة الاستئناس بالمنهج الفينومينولوجي كمؤشر فعال حتى لا يبقى الفصل قائما بين السائل وموضوع السؤال، فهو منهج يتصدى للفهم الحقيقي للوجود الانساني، وهذا يعد من أكثر الماهج التي تعمل على ايضاح الوجود حيث يمنحه حضوراً قوياً يؤكد به مشروعه.لهذا كان الوجود الانساني وجودا حراً معبرا عن حالة من التساؤل عن وجوده المطلق (ماهيته) وهذا الذي يسميه "هيدجر" ب"الانية" أو "الدازين" التي تعيش في حالة من التغير اللامتناهي من خلال محاولة فهمها لوجودها ولغيرها من الموجودات التي تتعامل معها، وفي هذا السياق يعدها "هيدجر" أسمى وأرقى الموجودات المتبقية. يقول "هيدجر" "إن التعبير الحقيقي للإنية يكمن في كونها ذات تحمل أبعاد أنطولوجية "، "على أساس أن الانتماء إلى العالم شرط محدد لمعنى الوجود الانساني"[1].

يعتقد "هيدجر " في هذا الوضع التساؤلي الذي بلغه مفهوم "الانية "، أو الوجود الانساني، هو في الأصل محفوف بمجموعة من الاثارات والتساؤلات حول مختلف الموضوعات والاشياء التي توجد في هذا العالم ، حيث يمتاز هذا الوجود بتفوقه على العلوم و في قدرته على معرفة ماهية الوجود، أو الكينونة الوجودية التي يصعب على هذه الأخيرة ادراكه، هذا ما يوحي بأن اتجاهها قد انصب إلى معرفة سوى بعض مظاهر الوجود، أما الأنطولوجيا أو علم الوجود الذي هو في واقع الأمر من اختصاص الانسان لوحده، باعتباره العلم الذي يتجاوز الجزئيات للبحث في الكليات.

هذا الوجود الذي يشكل بالنسبة لـ"هيدجر" هاجساً كبيراً ، لا يمثل موضوعاً للتأمل فقط، أو شيء خارج عن الذات الانسانية، بل هو في حقيقة الأمر شعور ينتاب الانسان، خصوصاً في حالات القلق الشديد وفي اللحظات التي يبدي فيها اهتمامه وانشغله بذاته وبما يحيط به من أشياء وأغيار، حيث يشتد التفكير والبحث في كثير من الأمور المتعلقة باختياراته التي تلائمه وفي حواره غير المتناهي معها، هذا ما يكشف عن وجود صراع يدور بين الانية وذاتها، وبينها وبين العالم

[1] Heidegger, Etre et temps, Ed, Gallimard, Paris 1986, p.108

الذي تعيش فيه، مم يكشف عن الديناميكية والحركية التي هي صفات الانية التي تنحو إلى فهم الوجود.

إن استئناس "هيدجر" بالمنهج الفينومينولوجي الذي يسعى قصديا إلى تحديد الأشياء ذاتها عند الحديث عن العالم ، لكن طبيعة الطريقة التي اقتفاها تختلف كثيرا عن التي اتبعها "هسرل" حيث أن وظيفة الفعل القصدي عند "هيدجر" لا يكون قصدا متعالياً، أي لا يتجاوز الواقع الماثل أمامنا، وإنما الغاية تكمن في تحديد وفهم تركيب الوجود العام.

ولهذا كانت اهتمامات الانية وانشغالاتها موجهة إلى عالمها الذي تحيا فيه خلال ارتباطاتها وعلاقاتها بالأدوات على أساس ان هذه الأدوات تحيل بعضها البعض ، فمثلا تحيل المطرقة إلى قطعة الخشب والقلم إلى الأوراق ... الخ هذا ما يدل على أن هذه الأشياء أو الأدوات لا تعي نفسها، وإنما تكشف عن صور حقيقة معبرة عن سمو الوجود الانساني، إن اللعب الذي يأخذنا نحن البشر، الذين لا نكون بشرا إلا بقدر ما نحذي الموت، الموت الذي يستطيع، كونه إمكانية الوجود العظمى، أن يضيء الوجود وحقيقة الوجود كما لا يضيئه شيء آخر .. الموت هو هبة تظل خارج نطاق الفكر"[1].

ومن هنا كانت المشكلة الأساسية التي تفاعل معها " هيدجر" تكشف عن العمق الفلسفي لمفهوم الوجود الذي تضيء اللغة حقيقته " أن الفكر لم يتوصل آنذاك إلى اختبار بشكل حاسم، ولم يدفع به إلى أقصى حد بواسطة اللغة الميتافيزيقة "[2]، ومنه بدأت الأسئلة تتداعى حول براديغم الوعي وتخصيب المساءلة الوافية عن أحواله ومحاولة اقامة العلاقة مع الأشياء والأدوات بغية تحقيق مشروعه الوجودي وفهم الغايات المرجوة منه، مما يتيح فرصاً للإنية من السمو بذاتها ومعرفة علاقتها بالآخرين.

2-هيدجر ومفهوم الحقيقة:

تمثل الحقيقة مفهوما فلسفيا رائجاً في فلسفة "هيدجر" على أساس أنها تشتغل على تشخيص مسائل الوجود، لذا جعلته يترجم الكلمة الاغريقية إليتيا بالإختفاء رغبة منه إعادة النظر في الفهم المتداول حول مفهوم الحقيقة باعتبارها ممهدة لنظرية جديدة تصبح فيها الحقيقة كانكشاف وحرية مجاوزة بذلك التصور التقليدي الذي نظر إلى الحقيقة ضمن المجال المنطقي والمعرفي الموصول بالتمثل الذاتي وتوافقه مع موضوعه، هذا الذي دفع "هيدجر" إلى رفضه بشدة على أساس أن الحقيقة لا تسكن الخطاب ، وليست قضية متعلقة بالموضوع أو المحمول، بل هي

---

[1] مارتن هيدغر، مبدأ العلة ترجمة نظير جاهل مجد، بيروت لبنان ، 1996، ص124

[2]Heidegger, Lettre sur l'humanisme, Trad, Jean Beaufret, Aubier, Paris 1964, p.69.

بعيدة عن الأحكام والتمثلات التي تصدر عن الذات بشأن مطابقة الفكر لاللواقع أو مطابقة ما في الأعيان لما في الأذهان، هذا في الحقيقة ما أضفى على عالمنا الراهن بعدا تراجيديا يترجم في اطار ضياع العقل العلمي في التقنية مما جعل الخطاب الأداتي يغوص في أغوار بوتقة مغلقة ودوغمائية مكبلة بالمصادرات العلمية" العلم لا يفكر"[1].

وفي هذا السياق لا يمكن في نظر "هيدجر" اعتبار الحقيقة والخطأ من خصائص الخطاب، بل تخرج عن دائرة القضايا والأحكام، ومنه تكون الحقيقة واللاحقيقة لهما وجود أنطولوجي تتمتعان به خارج منظومة الفكر ومدركات الذات، وبالتالي أصبحت أرضية التصور "الهيدجري" للحقيقة تسير على ضوء مشروعه الفلسفي الذي يدفع نحو إعادة التفكير في الوجود على أساس أنه وجود منسياً، يقتضي استلهام المنهج الاستذكاري حيث يستدعي العودة إلى اليونان الذي تنبجس منه البداية الافتراضية، ولحظة "هيراقليطس" الذي أكد بدوره مميزات الوجود هو الاختفاء، بما أن الطبيعة يحلو لها الحجب والأفول والانسحاب، وهي الميزة الأساسية التي تظهر بقدر ما تختفي، ومنه تكون حقيقة الوجود في عدم اعطاء نفسه إلا بقدر ما يحجبه، وتصبح الحقيقة وفق هذا التصور، أنها مرتبطة بحالة أنطولوجية أكثر شدة وحساسية يتم تحققها عوفق لحظتين أساسيتين: لحظة انكشاف الوجود ليعبر عن حقيقة انفتاح الفكر بيقظته اللافتة ليحول بعد ذلك حالته إلى الكلمة والفكرة، وبهذا المعنى تصبح اللغة مأوى الوجود والانسان حارس الوجود، وبخاصة الفيلسوف والشاعر على ضوء أن الفلسفة والشعر يجسدان الحقيقة .

وبهذا استطاع "هيدجر" أن يرسم صورة فلسفية أصيلة عن الوجود الانساني ويتمكن إلى حد بعيد من تبديد الملمح الميتافيزيقي الذي كان يعتري حقيقة التعبير عن مفهوم الوجود الذي يحظى بعناية خاصة، من قبل الفلاسفة الوجوديين، إعتقاداً منهم أنهم رسخوا الفكرة الموصولة بالحقيقة والحرية والمسؤولية واللغة، على أساس أن هذه الأمور والقضايا تدخل في سياق التعبير عن الهموم الفلسفية التي لا تخسف عن المشهد الثقافي المعاصر.

[1] Heidegger, Essai et conférence ; que veut dire penses , paris 1985, p.117.